مطلوب أن : تفتح المصحف لمتابعة الأفكار الرئيسية والأهداف للآيات المقدسة

الجزء الثانى التفسير التفصيلى

(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) [الحاقة : ٦]

وكانت عادة القرآن جارية بتقديم قصة عاد على ثمود

إلا أنه قلب هاهنا لأن قصة ثمود بنيت على غاية الاختصار

ومن البلاغة البيانيه تقديم ما هو أخصر

ولعل حكمة التفصيل هنا لعذاب (قوم عاد) الذين عذبهم بالرياح الباردة

لأن الله سبحانه كرر نموذج بسيط لهذا العذاب على قريش والأحزاب

فى الأيام والليالى الأخيرة من حصار قريش والأحزاب لرسول الله والمسلمين

فى غزوة الخندق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلِكتْ عاد بالدَّبور "

ريح صرصر :

هي الريح الباردة الشديدة البرد كقوله : { ريح فيها صرّ أصابت } الآية [آل عمران : ١١٧] **والصرّ البرد**

والصرصر المكرر منه ، فوصفها أنها صر صر لدوامها وتكررها

والصرصر : الريح الشديدة الصوت .

والعاتية : لأنها عتت على خزانها بإذن الله فلم تطع الملائكة الخازنين للريح ولم يكن لهم عليها سبيل ، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها

قال قبيصة بن ذؤيب . لم يرسل الله ريحا إلا بقدر معلوم

غير الريح التي أرسلها على عاد ،

فإنها خرجت بغير قدر معلوم غضبا بغضب الله تعالى

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أرسل الله نسمة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح ،

فإنّ الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه السبيل » ،

ثم قرأ : { إِنَّا لَمَّا طَغَا الماء حملناكم فِي الجارية } [الحاقة : ١١]

نحن نعرف أن هناك ملائكة خزنة ومفردها : خازن

والملك الخازن : هو الحافظ المؤتمن على الشيء

فهناك خزنة جهنم في قوله تعالى:وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ (الزمر: ٧١

وهناك خزنة الجنة :

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(73)

وهناك خزنة للماء وخزنة للرياح

وجمع الخازن : الخزان أو الخزنة

« وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل »

ثم قرأ { بريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها .

«العاتية » معناه : الشديدة المخالفة ،

فكانت الريح عتت على الخزان بخلافها لهم فلم تأتمر لأمرهم

وعتت على قوم عاد بشدتها

روى الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال : ما يخرج من الريح شيء

إلا عليها خزان يعلمون قدرها ، وعددها ، وكيلها ،

حتى كانت التي أرسلت على عاد ، فاندفق منها ،

فهم لا يعلمون قدر غضب الله ، فلذلك سميت عاتية

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) [الحاقة : ٧]

{ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ } أرسلها وسلطها . والتسخير : استعمال الشيء بالاقتدار

وقيل : التسخير التذليل ، أي ذللها ، فصيرها ، بحيث لا تمتنع عن المرور عليهم في الوجه الذي جعلها عليهم ، وأطاعته في الوجه الذي أرسلها .
إنما أرسل الريح على أبدانهم خاصة ، لم تهلك شيئا من مساكنهم كقوله تعالى : { تدمّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم }
[الأحقاف : ٢٥] والريح عملت على الأبدان لا على البنيان حيث الله تعالى لم يأمرها بذلك ، والله أعلم .

والحسوم . المتوالية ،

مأخوذ من حسم الداء بمتابعة الكي عليه ،

فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم .

وقيل : هو من القطع ،

فكأنها حسمتهم حسوما أي : أذهبتهم وأفنتهم ، وقطعت دابرهم .

سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ

بدأت بطلوع الشمس من أول يوم ،

وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم

فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ

والخاوية : الخالية التي لا شئ في أجوافها .

وقوله (كأنهم أعجاز نخل خاوية) : **جملة في موضع الحال من (صرعى)**
أي : صرعوا أمثال نخل خاوية .

ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت النخل خلت أجوافها ، فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية

(فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) [الحاقة : ٨]

لم يبق لهم نسل يذكرون بهم ، بل أهلكوا بأجمعهم ،

وانقطع عنهم الذكر إلا بالسوء ، وإلا كان يرى لهم باقية .

فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا ، **فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر ذلك قوله عز وجل : " فهل ترى لهم من باقية "،وقوله عز وجل : " فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم "** [الأحقاف : ٢٥]

ففيه أنهم استأصلوا ، وعم العذاب الكبير والصغير ،

يخوف أهل مكة بما يخبرهم عما فعل بأولئك .

(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ) [الحاقة : ٩]

ومن قَبْلَهُ : أراد الأمم العاصين قبله .

{ والمؤتفكات } قال : هم قوم لوط : ائتفكت (انقلبت) بهم أرضوهم

«المؤتفكات » جمع (مؤتفكة) من مادّة (ائتفاك) بمعنى الانقلاب

{ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ } ، وهي قريات قوم لوط الثلاث . وقال بعضهم : خمس مدائن خسف بها كلها قوم لوط

الذين ائتفكت عليهم مدائنهم إذ أهلكوا أي : انقلبت عليهم

والقرى التي قلبت وصرفت عاليها سافلها فائتفكت بأهلها

أي **انقلبت بأهلها** فهي **مؤتفكة**

بالخاطِئة :

يعنى بالخطأ العظيم ، أي : بالذنب العظيم .

وكانت خطيئتها : إتيانها الذكران فى أدبارهم

وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى قال : أهواها من السماء : رمى بها من السماء أوحى الله إلى جبريل عليه السلام ، فاقتلعها من الأرض ، ربضها ومدينتها ، ثم هوى بها إلى السماء ثم قلبهم إلى الأرض ، ثم أتبعهم الصخر حجارة

المؤتفك الذي يأتفك (ينقلب):

من الصدق إلى الكذب ومن الحق إلى الباطل ومن العدل إلى الظلم

وفي قوم لوط

كان الذكر يأتفك **من الفطرة** إتيان النساء

إلى **عدم الفطرة** إتيان الرجال .

وفي عطف هؤلاء المؤتفكة على ثمود وعاد في سياق ذكر التكذيب بالقارعة **إيماء إلى أنهم تشابهوا في التكذيب بالقارعة**

كما تشابهوا في المجيء بالخاطئة وعصيان رسل ربّهم ،

فحصل في الكلام احتباك .

والمراد بفرعون فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام وهو

(مِنفطاح الثاني) . وإنما أسند الخِطْء إليه

لأن موسى أرسل إليه ليُطلق بني إسرائيل من العبودية

قال تعالى : { اذهب إلى فرعون إنه طغى } [النازعات : ١٧]

فهو المؤاخذ بهذا العصيان

وتبعه القبط (هذا اسم أهل مصر غير آل فرعون) امتثالاً لأمره وكذبوا موسى وأعرضوا عن دعوته .

وكان **طغيان (تجاوز الحد) فرعون** في إدعائه الإلوهية

وكذلك طغيانه على بني إسرائيل في قتل الأطفال

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) [الحاقة : ١٠]

وقوله : { فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً } .

أخذة زائدة ، كما تقول :

أربيتَ إذا أخذ أكثر مما أعطاه من الذهب والفضة ،

أربيت : إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا ربا عليهم : زاد عليهم

أو أن أخذتهم كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار

كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار

(الثاني) أن عقوبة آل فرعون في الدنيا كانت متصلة بعذاب الآخرة ، لقوله :

{ أغرقوا فأدخلوا نارا } وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا ، فتلك العقوبة كأنها كانت تنمو وتربو .

والأخذ : مستعمل في الإهلاك ، وقد تقدم عند قوله تعالى :

{ أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون } في سورة الأنعام (٤٤)

وفي مواضع أخرى .

و{ أَخْذَةً } : واحدة من الأخذ ، فيراد بها أخذ فرعون وقومه بالغرق ، كما قال تعالى : { فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر } [القمر : ٤٢] ،

وإذا أعيد ضمير الغائب إلى { فرعون ومن قبله والمؤتفكات } كان إفراد الأخذة كإفراد { رسول ربّهم ، } أي **أخذ العذاب كل أمة منهم أخذة** .

والرابية : اسم فاعل من ربَا يَربو إذا زاد فلما صيغ منه وزن فاعلة ، قلبت الواو ياء لوقوعها متَحركة إثر كسرة

والمراد **بالأخذة الرابية** : إهلاك الاستئصال ، أي ليس في إهلاكهم إبقاء قليل منهم .

وربت وزادَتْ عَلى غَيْرِها مِنَ الأخْذاتِ،

وهي الغَرَقُ (لقوم نوح ولفرعون وجنوده) وقَلْبُ المَدائِنِ (لقوم لوط)

الواقع أن أي نوع من العقوبة فيه آية على القدرة ، وفيه تنكيل بمن وقع بهم ، **ولكن تخصيص كل أمة بما وقع عليها يثير تساؤلاً** ،

ولعل مما يشير إليه القرآن إشارة خفيفة هو الآتي :

أما فرعون فقد كان يقول :

{ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي } [الزخرف : ٥١] ، فلما كان يتطاول بها جعل الله هلاكه فيها (غرق) أي في جنسها .

وأما قوم نوح فلما يئس منهم بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأصبحوا لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ، فلزم تطهير الأرض منهم ، ولا يصلح لذلك إلا الطوفان .

وأما ثمود فأخذوا بالصيحة الطاغية ، لأنهم نادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ، فلما كان نداؤهم صاحبهم سبباً في عقر الناقة كان هلاكهم بالصيحة الطاغية .

وأما عاد فلطغيانهم بقوتهم ، كما قال تعالى فيهم : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ } [الفجر : ٦ -٨] ، وسواء عماد بيوتهم وقصورهم ، فهو كناية عن طول أجسامهم ووفرة أموالهم وتوافر القوة عندهم ، فأخذوا بالريح وهو أرق وألطف ما يكون ، مما لم يكونوا يتوقعون منه أية مضرة ولا شدة .

وكذلك جيش أبرهة لما جاء مدل بعدده وعدته ، وجاء معه بالفيل أقوى الحيوانات ، سلط الله عليه أضعف المخلوقات والطيور { وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ } [الفيل : ٣ -٤] .

أما قوم لوط فلكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث ، فكان الجزاء من جنس العمل ، قلب الله عليهم قراهم . والعلم عند الله تعالى ولا شك أن في ذلك كله تخويف لقريش

مصدر هذا الجزء من التفسير : الشنقيطي - أضواء البيان - ١٣٩٣هـ

(إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) [الحاقة : ١١]

وذلك يوم أغرق الله فيه قوم نوح { حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } يعني نوحا ومن معه وأولاده الثلاثة الذين الناس من ذريتهم : سام وحام ويافث . والجارية السفينة .

(لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) [الحاقة : ١٢]

{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً } أي : فتذكرون أن جميع من في الأرض غرقوا غير أهل السفينة . قال عز وجل : { وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } أي : حافظة . يعني بذلك التذكرة . وهي أذن المؤمن سمع التذكرة فوعاها بقلبه

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) [الحاقة : ١٣]

فإذَا نُفِخَ فِي الصّورِ إسرافيل نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وهي النفخة الأولى ، التي يصعق لها من في السموات ومن في الارض

{ الصور } : القرن الذي ينفخ فيه

نفخة الفزع ، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهي هذه النفخة . وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد .

فإن قيل : لم قال بعد ذلك { يومئذ تعرضون } والعرض إنما يكون عند النفخة الثانية ؟ قلنا : جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان ، والصعقة والنشور ، والوقوف والحساب ، فلذلك قال : { يومئذ تعرضون } كما تقول : جئته عام كذا ، وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته .

نفختان فقط ونفخة الفزع نفخة الصعق لأن الأمرين متلازمان أي فزعوا فزعا ماتوا عنه وهذا القول صححه القرطبي واستدل بأنه استثنى في نفخة الفزع كما استثنى في نفخة الصعق فدل على أنهما واحد

(وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) [الحاقة : ١٤]

اقرأ تلك الآية(السماوات والأرض **كانتا** رتقا ففتقناهما)الأنبياء ٣٠

نجد عندما يكون شيئين متلاصقين

كأنهما شيء واحد

يضيف الله لهما حرفان (تا)

معنى ذلك أن الجبال والأرض متداخلين

ولكن الأرض عليها مرتفعات أخرى غير الجبال

ولكن تلك المرتفعات اقل ارتفاعا من الجبال

ويوم القيامة ستكون الأرض

كما قدر لها الله ان تكون الأرض كلها مستوية

حيث يتم دك الأرض لتصبح مستوية

لايوجد بها ارتفاعات

لذلك عبر الله عز وجل ان الاستواء

سيحدث للأرض ومناطق الجبال كونها

متداخلة مع مكونات الأرض

وخص الجبال بالدك

لكي لايعتقد المستمع للقرآن أن مرتفعات

الأرض ستسوى وتبقى الجبال لعظم حجمها

عن الزهري في قوله تعالى : { فدكتا دكة واحدة } قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : لي المُلك أين ملوك الأرض

{ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً }

{ فدكتا } بسطتا بسطة واحدة ، واندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره

أصل معنى (**دك**) هو (الدقّ والتخريب) ولازم ذلك الاستواء

الأرض غير المستوية تحتاج إلى الدك حتّى تستوي ،

لذا استعمل هذا المصطلح في الكثير من الموارد بمعنى «الدق الشديد

وتوصيف الدكة بالواحدة للإشارة إلى سرعة تفتتهما بحيث لا يفتقر إلى دكة ثانية

أي : فتتت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا .

(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) [الحاقة : ١٥]

{ فيومئذ وقعت الواقعة } أي **وقعت الصيحة الآخرة ، يعني النفخة الآخرة**

الآيات ١٣ و ١٤ و ١٥ وقوله تعالى :

{ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة }

{ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة }

{ فيومئذ وقعت الواقعة }

فكأنهم سألوا متى تكون الواقعة والحاقة والقارعة ؟

فأخبر عن ذلك بقوله : { فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة }

{ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة }

{ فيومئذ وقعت الواقعة } أي :قامت القيامة

(وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) [الحاقة : ١٦]

كقوله عز وجل : { وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً } [النبأ : ١٩]

يعني سقفها . والواهية الضعيفة ، ليست بالشديدة كما كانت .

حدثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، قال : «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفوا صفا دون صفّ ثم نزل الملك الأعلى على مجنّبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قوله الله : إِنّي أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْم التّنادِ يَوْمَ تُوَلّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ وذلك قوله : وَجاءَ رَبّكَ وَالمَلَكُ صَفّا صَفّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنّمَ ، وقوله : يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ

أقْطارِ السّمَواتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلاّ بِسُلْطانٍ وذلك قوله : وَانْشَقَّتِ السّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالمَلَك على أرْجائها » .

وانشقت السماء } يعني : انفرجت السماء بنزول الملائكة .

{ فَهِي يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ } يعني : ضعيفة منشقة متمزقة

قال الضحاك : إذا كان يوم القيامة **أمر الله** جل ثناؤه السماء بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالأرض ومن عليها ثم الثانية ثم [الثالثة] إلى السابعة ،

فصفوا صفا بين يدي صف

ثم نزل الملك الأعلى على مجنبته جهنم ،

فإذا رآها أهل الأرض نَدّوا فلا يأتون قُطرا (ناحية أو جانبا) من أقطار الأرض **إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة فيه ،**

فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قوله :

(إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم) .

نَدَّ فُلانٌ: إذا هَرَبَ

ومنها يوم التناد يوم محاولة الهروب

ولكن لاعاصم

اين يهربون وأين يختبئون

وكل الأرض والجبال مستوية ليس هناك شيء للإختباء ورائه

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ لِأنَّهم إذا سَمِعُوا زَفِيرَ النّارِ يَنِدُّونَ هارِبِينَ، فَلا يَأْتُونَ قُطْرًا مِنَ الأقْطارِ إلّا وجَدُوا مَلائِكَةً صُفُوفًا، فَيَرْجِعُونَ إلى المَكانِ الَّذِي كانُوا فِيهِ.

وكيف تستطيع الهرب وقد جاء ربك والملائكة صفوف مع الله
وذلك قوله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) .
وهو قوله : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) (أي) بحجة

(وانشقت السماء) أي انفرج بعضها من بعض

فهي يومئذ واهية) أي شديدة الضعف يقال : وهى الشئ يهي وهيا ، فهو واه أي لا يستمسك لضعفه بنقض بنيته .

وقيل : هو تغير السماء بعد صلابتها بمنزلة الصوف

في الوهي والضعف

{ وَاهِيَةٌ } **مسترخية ساقطة القوّة جدّا بعد ما كانت محكمة مستمسكة**

{ والملك } **اسم الجنس** يريد به الملائكة

وانشقت السماء : مطاوعتها لِفعل الشق لنزول الملائكة .

والشقُّ : فتح منافذ في محيطها ، قال تعالى : { ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً المُلكُ يومئذٍ الحقُ للرحمان وكان يوماً على الكافرين عسيراً } [الفرقان : ٢٥ ، ٢٦] .

{ فهي يومئذ واهية } أي مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة شديدة

والوهي : قريب من الوهن ،

والأكثر أن **الوهْى يوصف به الأشياء غير العاقلة** ،

والوهن يوصف به الناس .

{ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) }
تفطرت السماء وامّاعت ؛ كما جاء في الآية الكريمة :

{ يوم تكون السماء كالمهل } فتهاوت وتداعت للسقوط ،

وليس يلزم من الإخبار عن السماء بأنها تنشق أو تذوب أنها من الأجسام الصلبة . فقد وصف الله تبارك اسمه البحر بالانفلاق

مع أنه لم يخلق صلبا { فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق .

(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)[الحاقة : ١٧]

وقوله تعالى : { وَالْمَلَكُ } أي والملائكةُ

{ عَلَى أَرْجَآئِهَآ } معناه على جَوانِبِهَا . وقيل : نواحيها وأطرافها

وواحدها " الرَّجَا " وهو مقصور

والضمير ها (أَرْجَآئِهَآ) يعود على السماء الدنيا

والمَلَكُ على أرْجائها يقول :

والملك على حافات السماء حين تشقّق

ويقال : على شقة ، كلّ شيء تشقّق عنه .

وقوله تعالى : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }

معناه ثمانيةٌ مِن المَلائكةِ. ويقال : ثمانيةُ صُفوفٍ لا يَعلمُ عَددهُمْ إلاّ الله تعالى .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**إن الله أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش بين شحمة أذنيه إلى عاتقه خفقان الطائر سبعمائة سنة يقول ذلك الملك سبحان الله حيث كنت** » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : وَيحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً قال : ثمانية أملاك ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَحْمِلُهُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ ، وَيَوْم القِيامَةِ ثَمَانِيَةٌ » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إنّ أقْدامَهُمْ لَفِي الأرْضِ السّابِعَةِ ، وَإنّ مَناكِبَهُمْ لخَارِجَةٌ مِنَ السّمَوَاتِ عَلَيْها العَرْشُ » قال ابن زيد : الأربعة ،

قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن حملة العرش :

«**لَمّا خَلَقَهُمُ اللهُ قالَ : تَدْرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ ؟**

قالُوا : خَلَقْتَنا رَبّنا لِمَا تَشاءُ ،

قالَ لَهُمْ : تَحْمِلُونَ عَرْشِي ،

ثُمّ قالَ : سَلُوني مِنَ القُوّةِ ما شِئْتُمْ أجْعَلْها فِيكُمْ ،

فَقالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : قَدْ كانَ عَرْشُ رَبّنا على المَاءِ ،

فاجَعْلْ فِيّ قُوّةَ المَاءِ ،

قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فيكَ قُوّةَ المَاءِ

وقال آخَرُ : اجعَلْ فِيّ قُوّة السّمَوَات ،

قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوّةَ السّمَوَاتِ

وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فيّ قُوّةَ الأرْضِ ،

قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوّةَ الأرْضِ والجِبالِ

وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِيّ قُوّةَ الرّياح ،

قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوّةَ الرّياحِ

ثُمّ قال : احْمِلُوا ،

فَوَضَعُوا العَرْش على كَوَاهِلِهِمْ ،

فَلَمْ يَزُولُوا قالَ : فَجاءَ عِلْمٌ آخَرُ ،

وإنّمَا كانَ عِلْمُهُمُ الّذِي سألُوهُ القُوّةَ ،

فَقالَ لَهُمْ : قُولُوا : لا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلاّ باللهِ ،

فَقالُوا : لا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلاّ باللهِ ،

فَجَعَلَ اللهُ فِيهِمْ مِنَ الْحَوْلِ والقُوّةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ عِلْمُهُمْ ، فَحَمَلُوا » .

وقوله تعالى : { ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } فيحتمل أن يكون الملائكة بالنفخة الأولى يصعقون إلا الثمانية الذين يحملون العرش كما قال : { ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله } [الزمر : ٦٨] فيكون هؤلاء الثمانية الذين استثنوا ، فلا يصعقون ، فهم يحملون العرش ،

فتكون أمكنتهم على أرجاء السماوات ،

وهو قوله : { والملك على أرجائها } .

عن عبد الله بن عمير ، عن العباس بن عبد المطلب قال :

" كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء

فمرت سحابة فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتدرون ما هذا ؟ قلنا : السحاب . قال : والمزن ؟ قلنا : والمزن ،

قلنا : والعنان ، فقال : والعنان ، فسكتنا ،

فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم ،

قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ،

ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ،

وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة ،

وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك ،

ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء "

{ وَالْمَلَكُ } يعني : الملائكة ، فهو اسم جنس

{ والملك } لم يرد به ملكا واحدا ، بل أراد الجنس والجمع .

{ عَلَى أَرْجَائِهَا } أي : على جوانبها .

قال الزجاج : و**رجاء كل شيء : ناحيته** ، ، والجمع : أرجاء .

وأكثر المفسرين على أن المشار إليها السماء .

قال الضحاك :

إذا انشقت السماء كانت الملائكة على حافة الشقوق التي انشقت في السماء

حتى يأمرهم الله تعالى ، فينزلون إلى الأرض ، فيحيطون بها ، ومن عليها .

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال : على أرجاء الدنيا .

قوله تعالى : { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ } فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : فوق رؤوسهم ، أي : العرش على رؤوس الحملة ، قاله مقاتل .

و**الثاني :** فوق الذين على أرجائها ،

أي : أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها .

و**الثالث** : أنهم فوق أهل القيامة ، حكاهما الماوردي .

والمعنى أن السماء إذا انشقت

عدلت الملائكة عن مواضع الشق إلى جوانب السماء ،

فإن قيل : الملائكة يموتون في الصعقة الأولى ،

لقوله : { فصعق من في السماوات ومن في الأرض }

فكيف يقال : إنهم يقفون على أرجاء السماء ؟

قلنا : الجواب من وجهين :

(الأول) أنهم يقفون على أرجاء السماء ثم يموتون

(الثاني) أن المراد الذين استثناهم الله في قوله : { إلا من شاء الله } .

{ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا } يقول : على ما استدق من السماء ، ينظرون إلى أهل الأرض .

وقال سعيد بن جبير: إذا صارت السماءُ قطعاً ،

تقف الملائكةُ على تلك القطعِ التي ليست مُتشققة في أنفسها .

ملخص :

{ والملك على أَرْجَائِهَا } أي جنس الملك مثل جنس البشر

على أطرافها وجوانبها ، وهي جمع رجى مقصور

والمعنى : أنها لما تشققت السماء ، وهي مساكن الملائكة

لجئوا إلى أطرافها .

ونخلص من كل هذه الغيبيات التي لا علم لنا بها ، ولم يكلفنا الله من علمها إلا ما قص علينا . نخلص من مفردات هذه الغيبيات إلى الظل الجليل الذي تخلعه على الموقف . وهو المطلوب منا أن تستشعره ضمائرنا . وهو المقصود من ذكر هذه الأحداث ليشعر القلب البشري بالجلال والرهبة والخشوع ، في ذلك اليوم العظيم ، وفي ذلك الموقف الجليل :